Majallah Al-Qism Al-Arabi
University of the Punjab,
Lahore - Pakistan.
No.27, Issue: 2020

مجلة القسم العربي
جامعة بنجاب، لاهور– باكستان.
العدد السابع والعشرون، 2020م.

عباس محمود العقاد حياته وإسهاماته في تطوير النقد العربي الحديث

بلال أحمد بيغ
الباحث بالجامعة الإسلامية للعلوم والتكنولوجية
اونتي بوره بلوامه كشمير

Abstract:

The Article at the beginning narrates the life of Abass Mahmoud Al- Aqad. There is no doubt that Abass Mahmoud Al – Aqad was one of the most famous and best thinkers in the modern era, and the most prominent contemporary writers.

It is no doubt that Abass Mahmoud Al-Aqad was a brilliant man of the fields of literature and arts. He has left for us a huge number of books and literature and messages in the literary arts.

This article divided on two axis:the first axis about life of Abass Mahmoud Al- Aqad and the second axis about his contribution to Arabic criticism.

In the field of criticism he has written so many books viz: Kitabu Al –Deewan in association with Abdul Qadir Al- Mazni, Ibni Rumi, Mutaliaat Fil Al- Kutub Wul Hayat, Sa –aat binul Kutub etc. Moreover, he also contributed to the establishment of Madrastul Al –Deewan in association with his two friends Abdul Rahman Al – Shukri and Abdul Qadir Al- Mazni in 1921 dealing with the Arabic criticism.

Key words: Life,Contribution (ArabicCriticism), Opinions, Books.

مقدمة:

يعد عباس محمود العقاد رائدا من رواد مدرسة التجديد الأدبي والفكري وإماما من أئمة النهضة الأدبية العربية. كان الأستاذ عباس العقاد من عمالقة الأدب العربي المعاصر والحق أنه كان من الأدباء الموسوعين في تاريخ الأدب العربي المعاصر. وكان أديبا مبدعا وشاعرا مثاليا وصحفيا ماهرا وفيلسوفا باهرا ومؤرخا حاذقا وسياسيا كبيرا وناقدا بارعا. بل يمكننا القول أنه كان من ناحية العلم والثقافة البحر الزخار الذي تتلاطم فيه أمواج شتي فروع المعرفة دوما. وجدير بالذكر هنا كان العقاد يقضي جل أوقاته في القراءة والكتابة وأغني المكتبة العربية العالمية بتقديم ثروة أدبية عظيمة. وكان العقاد يعد واحدا من الأدباء الذين بذلوا جهدهم في تطوير اللغة العربية وآدابها. يترك العقاد الناس في الحيرة والاستعجاب بقدرته اللغة العربية ويترك تأثيرة على القلوب والأذهان.فالعقاد مدرسة بحد ذاته.لا يمكن لأى إنسان أن يقترب منه بسهولة. والحق أن منزلة العقاد في أدبنا المعاصر يساوي منزلة المتنبي في الأدب القديم على نحوما نعرف من قول الدكتور مُحَمَّد مندور:

"والعقاد من أولئك النفر القليل الذي يقال فيهم مثلما قيل في المتنبي من أنه قد ملأ الدنيا وشغل الناس..."[1]

لا شك في هذا القول أن العقاد مدرسة حية،باقية،يرجع إليها الباحثون فيجدون فيها غايتهم. فأدبه علم وعلمه أدب، وفلسفته منطق ومنطقه فلسفة، وفنه أصول وأصوله فن، ودينه عقل وعقله دين. وهو قبل ذلك وبعد انسان عظيم.

المحور الأول: نبذة عن حياة عباس محمود العقاد.

أ) مولده ونشأته:

هو عباس بن محمود بن إبراهيم، وجده الأعلى مصطفي العقاد، ينحدر نسبه من دمياط، ولكنه اشتهر في تاريخ الأدب العربي الحديث بالعقاد[2] باسم

جده الأعلى مصطفي العقاد، ولد يوم الجمعة في الثامن والعشرين من شهر يونيو سنة 1889م. وتم تسجيله في شهادة الميلاد أول يوليو سنة 1889م، فلذا يقول بعض المؤرخين إنه ولد أول يوليو حسب شهادة ميلاده[3]، بمدينة أسوان في أسرة مصرية من الطبقة المتوسطة. و كان أبوه يعمل صرافا لبلدة أسنا من بلاد مصر العليا، ثم يعمل كاتبا ماليا بأحد أقسام محافظة الحدود آنذاك ثم انتقل إلى وظيفة "أمين المحفوظات" بمدينة أسوان، وكان مسلما حقا صادقا زاهدا تقيا صالحا، وأما أم العقاد من أبويها وأسرتها جميعا، فكانت كردية تعرف في بداية سكنها بأسوان "بأسرة العسكرية" نسبة إلى عميدها بجيش مُحَمَّد علي في ذلك الزمان، وتعرف أم العقاد بالشريفة، وهو لقب إلى أهل البيت الأطهار المنحدرين من سيدنا الحسن ﷺ. وكانت امرأة اجتمع لها الخلق الفاضل والتدين والصلاح والجمال والتقوي و حسن الرأي والتدبير. و قد تزوج والد العقاد قبلها بسيدة من قرية من قرى الإقليم بالمنصورة التي كانت قد انجبت بنتا وستة من البنين، وللعقاد شقيقة واحدة كان يحبها جميعا وهي متزوجة تعيش في القاهرة إلى جواره.[4] وفي هذه الأسرة نشأ العقاد نشأة بنوع من سعة العيش وراحة البال،وورث صفات أبويه، فكان شديد الأسر، وثيق التركيب، قوي البيان، طويل القامة، عميق الإيمان،أريحا سخيا كأبيه وأمه، وتربى تربية إسلامية عالية فصار رجلا يشعر بتبعه الرجولة ومزاياها، و هو في سن الطفولة العابثة، فما اشترك العقاد مع الأطفال في عبثهم، وإن كان يشترك معهم في الألعاب التي تتطلب القوة والأقدام والشجاعة والصراع، وما كان يرضى أن يكون تابعا بل كان دائما قائدا متبوعا، ولهذا قال العقاد: إنه صار شيخا في الطفولة الأولى قبل أن يجاور سبع سنوات.[5] ويقول عن نشأته:"نشأت بين أبوين شديدين في الدين، لا يتركان فريضة من الفرائض اليومية، وفتحت عيني على الدنيا وأنا أرى أبي يستيقظ قبيل الفجر ليؤدي الصلاة، ويبتهل إلى الله بالدعاء ولا يزال على مصلاه إلى ما بعد طلوع الشمس، فلا يتناول طعام الإفطار حتى بفرغ من أداء الفرض والنافلة وتلاوة الأوراد، ورأيت والدتي في عنفوان شبابها

تؤدي الصلوات الخمس وتصوم وتطعم المساكين. وقلما ترى نساءمصليات أو صائمات قبيل الأربعين".[6]

ومن ذكرياته الطفولة إنه اجتمع في ليلة القدر من صديقين، هما صالح حرب وعبدالمجيد، فطلب كل منهم رجاء خاصا من الله تعلى فكانت أمنيه صالح أن يكون قائدا عسكريا، وكانت أمنية عبدالمجيد أن يحج إلى بيت الله الحرام، وكانت أمنية العقاد أن يكون من أشهر زمانه، فأجاب الله تعالى رجاء الجميع، فقد أصبح صالح وزيرا للدفاع، وحج عبدالمجيد إلى بيت الله سبع مرات، وأصبح العقاد من أوسع الناس شهرة في مصر والبلاد العربية.[7] ومن نوادر طفولته أن طفلا سب أباه محمود العقاد فأوسعه ضربا حتى أبكاه، فذهب الصبي إلى أمه يشكو، فجاءت الأم وابنها إلى أم عباس تشكو له مما حدث، وعباس حاضرا فبارد عباس أم ذلك الصبي قائلا: هل سألت ابنك لماذا ضربته؟ فأجابته لأنه سب أباك- كما بلغني ممن شهدو الضرب- فلم لم تسب أباه كما سب أباك؟ فرد عباس بزهو غاضبا وهل أبوه كأبي؟.[8] وهذه كانت رجولة العقاد وشجاعة عند نعومة أظفاره.

ب) تعليمه وثقافته:

لما بلغ عباس محمود العقاد نحو السابعة من عمره فدخل أبوه في المدرسة أسوان الأميرية[9] وكان العقاد أصغر سنا من التلاميذ الآخرين في الصف. ولم يكن العقاد شعبية كبيرة بين زملائه في المدرسة بسبب اختلافه عنهم في السلوك والميول. وكانوا يمزحون لسلوكه و يكثرون من السخرية به لأنه كان أول تلميذ ما لبس البنطلون القصيروالبذلة المدرسية. وكذا ذات يوم دعاه معلمه باسم عباس حلمي دون أن يدعى باسم أبيه، ولكن المعلم كان يصر على النداء بذلك اللقب، والعقاد أيضا كان يصرعلى عدم الإجابة، حتى استدعى ناظر المدرسة أباه ليقوم و ليصحح سلوك ابنه، فلما جاء أبوه وعلم الواقعة بأسرها فوافق ابنه على تمسكه باسمه وعدم قبوله التلقيب، فرضى ناظر المدرسة حسب رغبة أبيه وابنه في

المحافظة على الاسم الذي يريد العقاد وانتهت المسألة بسلام.[10] وكان العقاد طالبا متفوقا في دراسته، و نظاميا في مواعيده، فلم يتخلف قط عن موعده. وكذا كان من متقدمي الطلاب في الخط،حتى بدأت موهبه وذكاءه من حصة الخط بحيث أن معلم الخط الشيخ مصطفي عاصم رحمه الله عرض للعقاد أن يكتب بالخط النسخ كلاما عن "المدرسة التي تتعلم فيها" ولكن العقاد قد نسى أن يكتب عن هذا الموضوع. فلما لقي قبل دق الجرس بعض الزملاء سأل عنه أحدهم هل كتبت ما طلبه مدرس الخط؟ فتذكر العقاد فأخرج كراسة التجارب، وكتب بعض السطور في الفور في الموضوع المذكور. فتعجب الزملاء بما كتب العقاد في فرصة قليلة، حتى اشتكى بعض الطالب ضده وقال للمدرس ياأفندي! كان العقاد ناسيا طلبكم و ذكرناه أخيرا، وقال في شأن العقاد:"إن هذا أدل على الإجادة و حسن الاستعداد". كان العقاد عبقريا وذكيا جدا يدهش أحيانا مراقبوا المدرسة والزائرون و السائحون الذين يأتون أسوان من البلاد الشرقية والغربية، فزار يوما من كبار الزوار الإمام الجليل الشيخ مُحَمَّد عبده مدرسة العقاد بأسوان، ودخل صف العقاد وتصادف أن المدرس يدرس الإنشاء وكان التلاميذ يتناظرون في موضع السلم والحرب يعني أيهما أفضل وأهم، والعقاد اختارالدفاع عن الحرب التي لم يخترها أحد من التلاميذة، ثم أخذ المدرس كراسته وعرضها على الشيخ مُحَمَّد عبده فاستغرب الإمام بجدة ذهنه وقوة منطقه وسطوع براهينه حتى قال العقاد: كيف ترجح الحرب التي تدمر العمران وتشتت الأرواح، ويقتل النساء والعجائز والأطفال دون جدوي وتنشر الأمراض المتنوعة ؟فرد عليه العقاد قائلا: إن الذين يموتون على فراشهم في غير الحرب أكثر عدد من الذين يقتلون في الحرب، و أما الحرب فتجمع القلوب والصفوف المتفرقة وتحي النخوة وتثير الحماسة، فازدار إعجاب الإمام وقال: إذا لم تخن فراستي فيكون هذا التلميذ كاتبا عظيما ونابغا عبقريا، أو بعبارة أخرى:"ما أجدر هذا أن يكون كاتبا بعد".[11]

وجدير بذكر هنا كان العقاد جيدا باللغة الإنجليزية أيضا. قد تعلم هذه

اللغة بوسائط ثلاثة، وهي:

الأول: كان بعض الزائرين يدعون لزيارة "المدرسة الأميرية" فيجلس العقاد وأقرانه مع أزواجهم وأبنائهم ويتكلمون معهم بالإنجليزية، ومنهم رجل مسلم إنجليزي يسمى صاجورديكسون، أرسل بعد عودته إلى العقاد كتابين أحدهما ترجمة القرآن الكريم باللغة الإنجليزية والآخر كتاب كارليل (Carlyle) عن "الثورة الفرنسية" باللغة الإنجليزية أيضا، فبذل العقاد كل طاقته في قراءته ومراجعة الكلمات الصعبة من المعاجم، وكتاب كارليل (Carlyle) أول كتاب قرأه باللغة الإنجليزية.[12]

الثاني: وفي أثناء حملة السودان دفعت الإنجليز إلى تعيين حاكم عسكري ومحافظ المدينة وقاضي المحكمة منهم على أسوان، ليوزعوا المصالح الحكومية ولا يعرفون اللغة العربية، فاحتاج أهل المدينة يجدوا أمامهم سوى العقاد وزملاء مدرسته، ويعطى للمترجمين نفقة عالية، وقد تصعد النفقة إلى نصف ريال، فكان العقاد يفرح بما يعطى له من هذه النفقات، ويزداد دأبه في تعلم الإنجليزية.

الثالث: بعد إنشاء خزان أسوان جاء إلى المدينة مئات الخبراء والمهندسين والمفتشين الإنجليز فيقرؤون الصحف الإفرنجية طوال العام، فكان العقاد يحدث معهم أحيانا يطلع على ما يحملون من بعض الصحف، ويتابع النظر فيها بين الحين والحين، وكل ذلك حث العقاد على اقتناع اللغة الإنجليزية واطلاعه الواسع على الآداب الغربية.[13] وموجز القول إنه اكتسب الخبرة والبراعة في اللغة الإنجليزية بعد مطالعة عنيفة حول الآداب الغربية واللغة الإنجليزية وفلسفتها منذ بداية حياته.

وكان العقاد مع دراسة الصباحية الرسمية يتخلف مع أبيه كل يوم إلى مدرسة أخرى مساء، وتسمى تلك المدرسة بجلسات الجداوي، الذي كان يلقي فيها دروسا أدبية ودينية، وكان يورد دعوة جمال الدين الأفغاني وبعض الأحاديث عن الشيخ مُحَمَّد عبده، فكان العقاد يسمع ذلك وتلقن دعوتهم في السن الباكرة،

وكذلك كان الجداوي من أكثر الناس محفوظا في الشعر والنثر، لذا أحيانا يفسر مقامات الحريري والهمذاني، وينشد أحيانا الشعر التاريخي والعبارات المسجعة كالمقامات، وكان العقاد يحب مدرسة الجداوي، لأن مجلسه أهداه إلى رغبة الأدب لأول مرة، واتخذ الأدب فنا عن ذلك الحين، وأخذ يتمرن على نظم الشعر استعرض العقاد مرة في مجلسه أبيات شعرية ومن تلقاء في وصف علومه الدراسية بعنوان مدح العلوم، وبدأ العقاد حياته الأدبية بهذه الأشعار، وهو بلغ في التاسعة من عمره و تلك الأشعار هي:

علم الحساب له مزايا جمة وبه يزيد المرء في العرفان

والنحو قنطرة العلوم جميعها ومبين غامضها وخير لسان.[14]

وكذا يعكف العقاد نفسه لقراءة ديوان شعر أو إحدى القصص أو العقد الفريد، والكشكول والمجلات الشهرية كالمقتطف و"الهلال" و"المفتاح" و"المحيط" وغيرها، وكذلك كان يدرس في هذه الإيام من دولاب أبيه مجموعة كبيرة من مجلة "الأستاذ" وصحيفة "الطائف"لعبد الله بديم و"أبو نظارة" ليعقوب صنوع و"العروة الوثقى" لجمال الدين الأفغاني. و بعض المنشورات التي تصدر في تلك الأيام، حتى كان يجلس الى المصباح في حجرته إلى منتصف الليل.[15]

وعلى هذا الغرار قضى العقاد حياته الدراسية سبع سنوات في المرحلة الإبتدائية، وتخرج منها في سنة 1903م، وحصل على شهادة إتمام الدراسة الإبتدائية، وبعد حصوله على الشهادة الإبتدائية لم يظفر العقاد الصبي أن يلتحق بمدرسة ثانوية، لأنها لم تكن آنذاك في أسوان و في قربها إلا القاهرة، واستطاع أن يرتحل إليها ليلتقي بها التعليم الثانوي أو يكمل دراسته في المدارس العالية الرسمية.[16] ومع ذلك هناك ثلاثة أسباب أخرى، وهي:

الأول: كان للوضيفة الحكومية في عصر العقاد شرف عظيم، ويعد موظفوها من أعلى طبقات الأمة، فلذا كان يتمنى والد العقاد أن يكتفي ابنه بما حصل من المدارس وأن يختار الوظيفة الحكومية، لأن أخويه الكبيرين سبقاه إليها

قبله أيضا، بنا هذه الرغبة لم تكن أسرته راضية أن يبعثه إلى القاهرة.[17]

الثاني:من الممكن أن المطالعة العميقة وتظاهر علمه البارع وانتاجه الضخم حول العلوم العامة من صباه أجبرت العقاد إلى عدم تكميل الدراسة العليا منتظما.

الثالث :وقال بعض المؤرخين أنه لم يلتحق بالمدرسة الثانوية لأن الحالة المالية لوالده لم تكن رفاهية، كما أشار إليه عصمت مهدي.

واعتقد أن قول المهدي ليس بصحيح،بل كان معتمدا على التخمين والظن،لأن العقاد اعترف بنفسه أن الظروف المالية لوالده لم تكن دنيئة حتى أنه قال:كان أبي وأخي الأكبر موظفين يعيشان في بيت واحد، و كان مرتبهما معا بضعة عشر جنيها، وهو مقدار لم يكن بالقليل في ذلك الحين، فنشأت أحسب أنني غير محتاج، وأني أجد من راحة المعيشة ما لا يجده الكثيرون من زملائي.[18]

وبناء على هذا نقول إن العقاد امتنع نفسه عن الدراسة العليا الرسمية للسبب الذي ذكرناه آنفا،لا لسبب الذي بينه عصمت مهدي، بعد تخرج العقاد من الدراسة الإبتدائية كان يرغب أحيانا أن يسلك في مدرسة جندية و يتم تعليمه بها، وأحيانا كان يفكر أن يلتحق بمدرسة الزراعة، لأنه تأثر بالأزهار المدرسية التي رآها في أسوان، وأخيرا كان يطمح في نفسه أن يتعلم حول طبائع الحيوان، لأنه تأثر أيضآ بالطيور المهاجرة التي كانت تجمع في أسوان، ولكن هذه الأمنيات لم تتحقق أيتها لعدم رغبة أبيه إليها، ولأن فكرة أبيه مالت آنذاك إلى الوظيفة الرسمية كما ذكرنا، وهذه هى كانت حياة العقاد الدراسية.[19]

المحور الثاني: مساهمات عباس محود العقاد في تطوير النقد العربي الحديث:

أ) العقاد ناقدا:

بجانب إلى الموهبة الأدبية الفذة وصاحب الفكرة النقدية والمدرسة المتميزة كان الأستاذ العقاد ناقدا بصيرا ومهمة للنقد الأدبي جعله شامخا في مجال النقد وحاذقا في توظيف الأدب.ساهم في تطوير النقد الأدبي الحديث في مصر، وقدم

آراءه النقدية القيمة وتطبيقها على القطع الأدبية المختلفة.تناول العقاد النقد الذي ساقته إليه أحوال بيئته،واطلاعه على العالم الحديث،وغيرته على الأمة العربية وقضاياها.وقد تتفرع نقده فكان منه السياسي والإجتماعي، وكان منه الفكري والأدبي.على الرغم من أنه لم يصنف كتابه الخاص بموضوع النقد الأدبي ذاع صيته كناقد بارع بتقديم مبادئه النقدية المتناثرة في كثير من كتبه و في جل مقالاته الصحيفة، ولا سيما "أبن الرومي"، و"أبونواس الحسن بن هاني"، و"الديوان"، و"رواية قمبيزفي الميزان"، و"مطالعات في الكتب والحياة"، و"ساعات بين الكتب" وغيرها. عندما نطالع العقاد ناقدا فنجد أنه يكتب في مجال النقد منذ سنة 1907م في الصحف والمجلات الشهيرة آنذاك. ونشر باكورة نقده سنة 1912م في كتابه "خلاصة اليومية" فيما عبر عن أراءه في الموضوعات النقدية بما فيها الشعر والألفاظ، والجمال والجلال،والكاتب والشاعر،وما إليها.

كان العقاد من النقاد الذين قاموا بالدعوة إلى النقد العلمي،بأنه كان يعتقد أن النقد العلمي يعتمد على الأدلة القاطعة والبراهين الواضحة عوضا عن الرجوع إلى الظن والوهم والحقيقة ويقول في ذلك بكل التاكيد: "إننا من اليوم نحس أن غواية البدع السقيمة تنهزم سنة بعد سنة أمام حقائق العلم ودراسات الطبائع والأخلاق.فإذا انتهت كشوف القرن العشرين في هذا الباب بالتميز بين فوضى الفن وقواعد فأنعم به من ختام لا تنقضى حسناته ومزاياه.[20]

يرى العقاد في المنهج العلمي أنه اضطلع بدور هام في القضاء على الرفض المطلق أو التردد والشك الذي يخامر بعض الناقدين في قبول أورد مما يعرض عليهم من مرويات أدبية أو تاريخية بسبب أمتزاج بين الصدق والكذب فيها أو بين الخرافة والواقع والحقيقة والخيال.[21]

إن غاية العقاد الأصلية في نقده الأدبي هى توجيه الأدب الحديث توجيها جديدا إنسانيا،حيث هو يقول: "أطلب من الشعر أن يكون عنوانا للنفس الصحيحة، ثم لا يعنيك بعد ذلك موضوعه ولا منفعته، ولا تنهمه

بالتعاون إذا لم يحدثك عن الإجتماعات والحماسيات،والحوادث التي تلهج بها الألسنة، والصيحات التي تقف بها الجماهير. ويرى أن القصيدة "ينبغي أن تكون عملا فنيا تاما يكمل فيها تصوير خاطر أو خواطر متجانسة كما يكمل التمثال بأعضائه والصورة بأجزائها واللحن الموسيقى بأنغامه...فالقصيدة الشعرية كالجسم الحي يقوم كل قسم منها مقام جهاز من أجهزته.[22]

ب) آراء العقاد النقدية:

ومما يجدر بالذكر هنا أن العقاد أيضا قدم آراءه في القضايا الموضوعية النقدية التي أصبحت محل البحث وموضع النقاش بين النقاد الجدد،وصبوا اهتمامهم على أهميتها في الأدب الجديد.وهذه القضايا الموضوعية تضم قضية الشكل والمضمون، وقضية الوحدة العضوية في القصيدة،وقضية الجمال الفني، وقضية الأصالة والسرقة في الأدب وما إلى ذلك. والعقاد قد تناول قضية وحدة القصيدة على وجه التفصيل، ويرى أن الوحدة في القصيدة لازمة،ويجب أن تكون أبيات القصيدة متناسقة إلى حد أن تغيرالأبيات من ناحية الترتيب،يؤدي إلى التخريب في جمالها الفني والتعرض للتفكك فيها لفظا ومعنا وفنا.[23] وبعبارة أخرى يعني العقاد بوحدة القصيدة وحدتها العضوية فلذلك أنه قام بتعييب النفصال في الأبيات التي يجعل القصيدة مجموعة مفككة من أبيات متفرقة ولا تؤلف بينها غير وحدة الوزن والقافية، وطبق العقاد هذا الميزان على قصيدة شوقي في رثاء مصطفي كامل وراح يزن به قصيدته المذكورة،فغير ترتيب الأبيات الهندسية وانتهى إلى أن هذه القصيدة "كالرمل المهيل لا يغير منه أن تجعل عالية سافلة أو وسطه في قمته".[24]

أما الجمال الفني فيرى فيه العقاد أنه لا يوجد في تنقية الكلمات أو زينة التراكيب أو استعمال الإستعرات والتشبيهات النادرة في الكلام،ولا يتعلق بوجود التناسب في قطعة أدبية ما، بل الجمال الفني هو إسم آخر للحرية التي هى عنصر ثان هام في فلسفة العقاد.وبالحرية أنها تمكن الأشياء من أداء وظيفتها بكل

السهولة دون ضغط القوات الخارجية.و في المجال الأدبي يعني به أن الأديب أو الشاعر يستطيع أن يعبر عما تختلج في قرار نفسه من العواطف وما تجول في ذهنه من الأفكار الرائعة بحرية كاملة دون الشعور بأية مشكلة أو عرقلة في سبيل التعبير عنها،ويجتنب من التزام الكلفة في كماته وتعبيراته. وبعبارة أخرى يعني العقاد بالجمال الفني أن يكون الأديب أوالشاعر حرا في التعبير، ويلقي العقاد ضوءا عليه قائلا : "إن الوظيفة تخلق العضو هذه حقيقة مقررة، فالإنسان لا يمشي،لأن له قدمين، بل هوله قدمان، لأنه أراد أن يمشي، وهو لا ينظر لأن له عينين،بل هو ذو عينين، لأنه أراد أن ينظر،وهكذا قل في جميع الأعضاء والجوارح...فالجمال إذن هو الحرية،والجمال في الجسم الإنساني هو حرية وظائف الحياة فيه وسهولة مجراها، ومطاوعة أعضاء الجسم لأغراضها،وقيام هذه الأعضاء مقام الأدوات الملبية لكل إشارة من إشاراتها".[25]

وكذلك أصبحت قضية اللفظ والمعني نقطة النقاش بين الأدب العربي في عصري القديم والحديث بالسواسية، وقدموا آراءهم القيمة في هذا الصدر.أما العقاد فهو يقول أثناء إلقاء الضوء على أهمية الفكر والمعني، أنه ليس من الممكن أن الأديب ذو رؤية واسعة يكون متعرضا للجمود الفكري ويكون مجردا من سرعة فهمه. ومما لا مرية في أن الأدباء كلهم يملكون الأفكار السامية ويمثلون في منتجاتهم الأدبية عصورهم تمثيلا صادقا.[26]

ثم يرى العقاد في المبالغة على أنها رمز من رموز انحطاط الفكر. وتحدث عن الجليل والجميل في هذه الكلمة: "إن الجميل كل ما حبب الحياة إلى النفس وأبدى منها الرجاء فيها. وبعث على الأغتباط بها،كالربيع والصباح والشباب والمناظر الرائعة، وأما الجليل، فهو كل ما حرك فيها الوحشة، وحجب عنها رونق الحياة كالشتاء والليل والعرم والقفار المخيفة.[27]

ثم هو يبين الفرق بين الكاتب والشاعر ويقول أن الكاتب من تتجلى روحه جلية في كتابته، ويتميز معها منهجه، وموقفه، ومذهبه، وفكره الخاص. وأما

الشاعر فهو ليس الذي يزن التفاعيل، أو يصوغ الكلام الفخم واللفظ الجزل أو يأتي بالمجازات الرائعة والتصويرات البعيدة فحسب، وإنما هو من يشعر ويشعر،[28] فما الشعر إلا التعبير الجميل عن الشعور الصادق.

يليق بالذكر هنا أن العقاد لم يقتصر على تقديم نظرياته النقدية فقط بل قدمها تقديما تطبيقيا. أما مجال التطبيق فقد شن العقاد فيه هجوما عنيفا على إميرالشعراء "أحمد شوقي"، وجرده من شاعريته وأصالته. وابتدأت المعركة النقدية بين العقاد والشوقي بعد نقد العقاد على بعض أبياته التي أنشدها في بطرس الغالي، واتهمه بالغو والتقليد الخاطئ،وأنه لا يعبر في شعره عن شعوره السادق، بل يبكي بكاء أميره "بطرس الغالي" وقصره. وكذلك حين تناول العقاد قصيدة شوقي في رثاء مصطفي كامل قسم نقده إلى أربعة أقسام،وهى التفك والإحالة والتقليد والولع بالأعراض دون الجواهر.

إن المقاييس التي ذكرها العقاد في كتابه "الديوان" حاكم عليها قصيدة شوقي "في رثاء مصطفي كامل "والعيوب التي ناقشها العقاد وفقا لشعر شوقي.عندما يتعمق القارئ في قرأءة نقد العقاد على شعر شوقي فيتوصل إلى أن شعر شوقي يحتمل العيوب فقط، ويتجرد من المحاسن الفنية والميزات الأدبية. ولكن النقاد لا يتفق مع نقد العقاد التطبيقي على شعر شوقي، بل أوضحوا المحاسن والمعائب في شعره، وكشفوا عن الأخطاء النقدية للعقاد التي اهتزت بها عرش شوقي وكادت تعصف بها. فعلى سبيل المثال. علق مُحَمَّد منور على نقد العقاد في بيت من قصيدة شوقي "في رثاء مصطفي كامل". وقال: و"نخشى أن تذهب تلك الجواهر التي يدعوا إليها العقاد بجمال الكثير من روائع الشعر الغربي كما حاولت أن تذهب بيت شوقي الجميل:

دقات قلب المرء قائلة له أن الحياة دقائق وثوان

فالعقاد يأخذ عليه الجمع بين دقات الساعة ودقات القلب،ويرى في هذا التشبيه الحسي ولوعا بالأغراض دون الجواهر، كأنه قد غفل أو تغافل عما في

البيت من تسوير ناطق لفناء الحياة الملاحق، وكأن كل دقة من دقات القلب تفني جزءا من تلك الحياة كما تفندقات الساعة الزمن.[29]

أما الأسلوب الذي أختاره العقاد لنقد شوقي اتخذه أيضا في نقد الرافعي، وتوجد بعض آراء العقاد النقدية في كتابه "الفصول" الذي نشره سنة 1931م وقدم فيه أنه يرى أن جمال المعاني لا ينبع من الكلمات المنمقة أو الأخيلة المستعارة المتكلفة، ولكن جمالها توجد في ذاتها وفي أدائها لوظيفتها، وفيما تلزم به طبيعتها، وهذا ما عاب به المنفلوطي.[30]

ولذلك ألقى العقاد ضوءا على وجود الابتذال في التراكيب الأدبية ويرى فيه أنه في التراكيب لا في الكلمات،والتراكيب المبتذلة لا يكون لها وقع في النفس ولا في الذهن، وكون الابتذال يكون في الألفاظ هو بعض ما توهمه حافظ إبرايهم حين ترجم كتاب "البؤساء" وقد عابه العقاد.[31]

ويرى العقاد أن هناك بون شاسع فيما بين الأسلوب الإدبي والأسلوب العلمي.أما الأسلوب الأدبي فهو لغة العاطفة ويعكس ما تختلج في وجدان الأديب من العواطف والإحساسات، وأما الأسلوب العلمي فهو لغة العقل ويعبر عن الأفكار الرائعة ا؛تى تجول في الأذهان ولكن من الضروري أن يمتاز كلا ا؛أسلوبين بالجلاء والوضوح.[32]

أجمل عزالدين الأمين آراء العقاد النقدية التي يوجد فيها أثر كبير من آراء هازلت (Halt)، ورأى في الأقوال يعني "الشعر لغة الخيال والعواطف"، و"الإنسان حيوان شعري"، و"إذ كان الشعر حلما فشؤون الحياة كذلك"، و"التصوير يعطى الشكل نفسه، ولكن الشعر يعطي ما يدل عليه الشكل" مستمدة من كتاب هازلت "Lecture on English Poets" ومن كتابه "The Spirit of the Age". وهناك خلافا وتناقضا بينهما من ناحية الشخصية علما وفكرا.

خلاصة القول:

فقصارى الكلام أن العقاد كان رائدا من رواد النقاد للعصر الحديث،لأنه

صاحب آراء ونظريات نقدية، لمساهمته في مجال النقد له أهمية كبرى في تاريخ النقد الأدبي الحديث بالآراء القيمة الحديثة. وبكلام مُحَمَّد مندور "أن الأستاذ عباس محمود العقاد كان أقرب إلى النقد الأدبي واقتحم في صميمه في معاركه النقدية وفي دراساته الأدبية، وأن أثره ومفعوله الشديد المتين قد كان في المعارك الإدبية التي قادها، والدعوات التجديدية التي قام بدعوة إليها... وهو فوق كل هذا وقبل كل هذا،علم من أعلام الفكر المعاصرين الذين يستثيرون دوما القاري ويعملونه على مناقشته الرأي إذا استطاع".[33]

والتمس الباحثين والكتاب لمزيد من البحث والدراسة لهذا الأديب العبقري، كما نطلب من الجميع السماح والعفو حيث – بسبب ضآلة زادي وقلة بضاعتي – لم أقدر على استيقاء الموضوع كما هو حقه،وأن لا تنسوني في صالح دعواتكم.

وصلى الله تعالى على نبيه مُحَمَّدﷺوعلى آله وصحبه أجمعين.

الحواشي والهوامش

1. مُحَمَّد مندور (الدكتور)، النقد والنقاد المعاصرون، مكتبة نهضة، القاهرة، 1962م، ص:64
2. العقاد مشتق من العقد أي صناعة نسج الحرير وعقده، ويسمى أرباب هذه الصناعة بالعقادين، وقال العقاد بنفسه عن اسم العقاد: إن جده لأبيه كان من أبناء دمياط. و يشتغل بصناعة الحرير، ومن هنا أطلق عليه الناس "العقاد" حتى التصقت به، وأصبح علما له، (عباس محمود العقاد،"أنا" بيروت، دارالكتاب اللبناني، 1982، ص:40)
3. طه مصطفى أبو كريشة (الأستاذ، الدكتور)، ميزان الشعر عند العقاد، ص:73
4. العقاد، عباس محمود، أنا، دارالكتب اللبناني، مكتبة المدرسة، 1984م، ص:50
5. فتحي رضوان، عصر ورجال، ص:201
6. العقاد، عباس محمود، أنا، ص:50
7. فتحي رضوان، عصر ورجال، ص:206
8. عامر العقاد، لمحات، ص:36-37

9. الأميرية: تطلق على جميع المدارس الإبتدائية الرسمية في عصر العقاد، و لم يكن بهذه المدينة من المدن المصرية مدرسة ثانوية إلا القاهرة وهناك كانت مدرسة أخرى تسمى بالكتاب يأخذ الأساتذة التخصيص فيها ما شاء وأنى شاء حسب رغبته لا حب رغبة الحكومة.(طاهر الجبلاوي، ذكرياتي مع عباس العقاد، ص:22.

10. طه مصطفى أبو كريشة (الأستاذ، الدكتور)، ميزان الشعر عند العقاد، ص:75.

11. العقاد، عباس محمود، أنا، ص:26،59،60،84

12. J. Brugman, An introduction to the history of modern Arabic Literature in Egypt, E.j.Brill, p.122

13. شوقي ضيف (الدكتور)، مع العقاد، دارالمعارف، القاهرة، 1988م، ص:16-17.

14. العقاد، عباس محمود، أنا، ص:38

15. المصدر السابق، ص: 41،65،78، وشوقي ضيف (الدكتور)، مع العقاد، ص:15

16. حمدي السكوت (الدكتور)، أعلام الأدب المعاصر في مصر، دار المعارف، القاهرة، 1985م، ص: 55

17. العقاد، عباس محمود، أنا، ص:90، وشوقي ضيف (الدكتور)، مع العقاد، ص:17

18. شوقي ضيف (الدكتور)، مع العقاد، ص:17، والعقاد، عباس محمود، أنا، ص:16

19. شوقي ضيف (الدكتور)، مع العقاد، ص:17، والعقاد، عباس محمود، أنا، ص:16

20. العقاد، عباس محمود، القرن العشرين ما كان وما سيكون، ص:227.

21. العقاد، عباس محمود، اللغة الشاعرة، دارالكتب اللبناني، مكتبة المدرسة، 1955م، ص: 129.

22. العقاد والمازني، الديوان، ص:46.

23. مُحَمَّد مندور (الدكتور)، النقد والنقاد المعاصرون، ص:90-91.

24. العقاد والمازني، الديوان في الأدب والنقد، ج2، ص:45.

25. العقاد، عباس محمود، مطالعات في الكتب والحياه، القاهرة، 1924م، ص:259 -263.

26. مُحَمَّد خليفة التونسي، فصول من النقد عند العقاد، القاهرة، 1986م، ص:168.

27. العقاد، عباس محمود، خلاصة اليومية، ص:17.

28. المصدر السابق، ص:105.

29. الشعر المصري بعد شوقي، ج1،ص:16 -17.

30. العقاد، عباس محمود، مراجعات في الأدب والفنون، ص:184.

31. مُحَّد خليفة التونسي، فصول من النقد عند العقاد، ص:60.
32. المصدر السابق، ص:60.
33. مُحَّد مندور (الدكتور)، النقد والنقاد المعاصرون، ص:144 –146

*_*_*